« يوم مشأ الطاعون في مدينتي
خرجت للعراء
مفتوحة الصدر الى السماء
اهتف من قرارة الاحزان بالرياح :
هبي وسوقي نحونا السحاب يا رياح .. »

وتلتقي بأجواء هذه القصيدة اجواء قصيدة « الى السيد المسيح في عيده » و« رسالة انى طفلين في الضفة الغربية » . ولكن الشاعرة تبدأ بتحولها بطيئاً حيث تقدم الى شعراء الارض المحتلة قصيدة تعاهدهم فيها على ان لا تبكي بعد هذا اليوم :

« أحبائي
مسحت عن الجفون ضبابة الدمع الرمادية
لالقاكم وفي عيني نور الحب والايمان
بكم ، بالارض ، بالانسان
فواخجلي لو اني جئت القاكم ، وجفني راعش مبلول
وقلبي يائس مخذول
....
وها انتم كصخر جبالنا قوة
كزهر بلادنا الحلوة
فكيف الجرح يسحقني ؟
وكيف اليأس يسحقني ؟
وكيف امامكم ابكي ؟
يمينا ، بعد هذا اليوم لن ابكي»(٢٢)

ويجيء الانسان ــ الفدائي ــ في آخر الشوط . وتكتب فدوى طوقان قصيدتها « حمزة » و « خمس اغنيات للفدائيين » ، وهما من انضج ما كتبته الشاعرة ، لا لانهما جاءتا في آخر الشوط ، فحسب ، بل لانهما ايضا ، خضعتا لتجربة صادقة ، كانت فدوى طوقان فيها تتعامل مع قضيتها لا بذاتية ضيقة ، بل بهاجس انساني عام . فهي بدأت تعرف كيف يكون المخاض الذي يهز الارض و ...

« كيف تكون رعشة الميلاد »
« .. وكيف يولد الاقاح
من الم الارض ، وكيف يبعث الصباح
من وردة الدماء»(٢٣)

لقد توصلت عبر تجربة الانسان ــ الفدائي، والانسان الشهيد ، كيف هي جدلية الحركة، وجدلية الحياة ، ووحدة النقيض حيث تتفجر نحو المستقبل ، فلنتابع هذه الرؤيا لولادة الاغنية :

« نأخذ اغنياتنا
من قلبك المعذب المصهور
وتحت غمرة القتام والديجور
نعجنها بالنور والبخور
والحب والنذور
ننفخ فيها قوة الصوان ، والصخور
ثم نردها لقلبك النقي ، قلبك البلور

---

٢٢ ــ المصدر السابق ، ص ٥١ .

٢٣ ــ المصدر السابق ، ص ٩٤ .